

التبيان في تفسير القرآن

(192) مترفوها) وهم الذين آثروا الترفه على طلب الحجة، وهم المتنعمون الروساء (إنا وجدنا آباءنا على أمة) يعني على ملة (وانا على آثارهم مقتدون) نفتدي بهم فأحال الجميع على التقليد للآباء فحسب، دون الحجة، والتقليد قبيح بموجب العقل لانه لو كان جائزا للزم فيه أن يكون الحق في الشئ ونقيضه، فيكون عابد الوثن يقلد أسلافه، وكذلك يقلد أسلافه اليهودي والنصراني والمجوسي، وكل فريق يعنقد أن الآخر على خطأ وضلال. وهذا باطل بلا خلاف، فاذا لابد من الرجوع إلى حجة عقل او كتاب منزل من قبل الله، فقال الله تعالى للنذير (قل) لهم (او لو جننكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) فهل تقبلونه؟ وفي ذلك حسن التلطف في الاستدعاء إلى الحق، وهو انه لو كان ما تدعونه حقا وهدى على ما تدعونه، لكان ما جننكم به من الحق اهدى من ذلك وواجب ان يتبع ويرجع إليه، لان ذلك، إذا سلموا أنه اهدى مما هم عليه بطل الرد والتكذيب، وإذا بطل ذلك لزم اتباعه في ترك ما هم عليه. ثم حكى ما قالوا في الجواب عن ذلك فانهم قالوا (انا بما أرسلتم به) معاشر الانبياء (كافرون) ثم اخبر تعالى فقال (فانتقمنا منهم) بأن اهلكناهم وعجلنا عقوبتهم (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المكذبين) لانبياء الله والجاحدين لرسله. قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون (26) إلا الذي فطرني فإنه سيهدين (27) وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون (28) بل تمتعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق